

رَحْمَةُ النَّبِيِّ ﷺ بِالْأَطْفَالِ

بقلم: أ.د. عادل بن علي الشدي

لَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَزْحَمَ النَّاسِ بِالْأَطْفَالِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشْرَةَ مِنَ الْوَالِدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا. فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: "مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ" [متفق عليه].

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَدِمَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: اتَّجَبَلُونَ صَبِيَانَكُمْ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ. قَالُوا: لَكُنَّا - وَاللَّهِ - مَا نَقْبَلُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَوْ أَمَلِكُ إِنْ كَانَ اللَّهُ نَزَعَ مِنْكُمْ الرَّحْمَةَ" [متفق عليه].

فِي هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ بَيَانٌ عَظِيمٌ شَفَقَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِالْأَطْفَالِ، وَأَنَّ تَقْبِيلَ الصَّبِيِّ مِنْ مَظَاهِرِ الرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ، وَفِي قَوْلِهِ ﷺ: "مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ" دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، فَمَنْ حَرَّمَ الْأَطْفَالَ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ حَرَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَمِنْ صُورِ رَحْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِالْأَطْفَالِ أَنَّهُ ﷺ دَخَلَ عَلَى ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ، وَهُوَ يُجُودُ بِنَفْسِهِ - أَيِ فِي سِيَاقِ الْمَوْتِ - فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَذْرِفَانِ وَقَالَ: "إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَإِنَّ الْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ" [رواه البخاري].

فَأَعْطَى النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ حَقَّ الْعِبُودِيَّةِ فِي الصَّبْرِ وَالرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى. وَأَعْطَى ابْنَهُ حَقَّهُ فِي الرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ وَذَرَفَ الدَّمْعَ وَالْحَزْنَ عَلَى فِرَاقِهِ وَهَذَا مِنْ أَكْمَلِ صُورِ الْعِبُودِيَّةِ.

وَلَمَّا مَاتَ ابْنُ ابْنَتِهِ فَاضَتْ عَيْنَاهُ ﷺ، فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: "إِنَّهَا رَحْمَةٌ، جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءُ" [متفق عليه].

وَمِنْ صُورِ رَحْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِالْأَطْفَالِ أَنَّهُ ﷺ زَارَ غُلَامًا يَهُودِيًّا مَرِيضًا كَانَ يَخْدُمُهُ. فَقَالَ لَهُ: "قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" فَظَنَّ الْغُلَامُ إِلَى أَبِيهِ. فَقَالَ لَهُ: أَطْعَ أَبَا الْقَاسِمِ. فَقَالَهَا الْغُلَامُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ

مِنَ النَّارِ" [رواه البخاري].

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ غُلَامًا لِأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ اسْمُهُ عُمَيْرٌ، كَانَ لَهُ نُغْرٌ - وَهُوَ الطَّائِرُ الصَّغِيرُ - يَلْعَبُ بِهِ، فَمَاتَ النُّغْرُ، فَحَزِنَ عَلَيْهِ الصَّبِيُّ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ نَبِيُّ الرَّحْمَةِ ﷺ يَزُورُهُ لِيُؤَاسِيَهُ وَيُبَازِحَهُ، فَقَالَ لَهُ: "يَا أَبَا عُمَيْرٍ! مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ" [متفق عليه].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي إِحْدَى صَلَاتِي الْعِشَاءِ، وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَضَعَهُ ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلَاةِ، فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرَانِي صَلَاتِهِ سَجْدَةً أَطَالَهَا، فَرَفَعَ شَدَّادُ رَأْسَهُ، فَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّلَاةَ قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانِي صَلَاتِكَ سَجْدَةً أَطَلَّتْهَا، حَتَّى ظَنْنَا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ، أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ. قَالَ: "كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي، فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ" [رواه النسائي وصححه الألباني].

وَمِنْ رَحْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِالْأَطْفَالِ أَنَّهُ كَانَ يَزُورُ الْأَنْصَارَ، وَيُسَلِّمُ عَلَى صِبْيَانِهِمْ، وَيَمْسَحُ رُؤُوسَهُمْ" [رواه النسائي وصححه الألباني].

وَمِنْ رَحْمَتِهِ ﷺ بِالصِّغَارِ أَنَّهُ كَانَ يُؤْتِي بِالصِّبْيَانِ فَيَبْرِكُ عَلَيْهِمْ وَيُحَنِّكُهُمْ. [رواه مسلم].

وَمَعْنَى يُبْرِكُ عَلَيْهِمْ: يَمْسَحُهُمْ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ وَيَدْعُو لَهُمْ.

وَكَانَ ﷺ يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أَمَامَةَ بِنْتِ زَيْنَبَ، فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا، وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا.

فَصَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَى هَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ الرَّحِيمِ.

الأمين العام المساعد

لرابطة العالم الإسلامي